

هدية بن خشرم ، صورة المجتمع القبلي الأموي في شعره

Hudbah ibn Khashram, a Portrait of Umayyad Tribal Society in his Poetry

*أرشد محمود قريشي

Abstract

Hudbah ibn Khashram was a poet of the Umayyad period and belonged to the Banu Udhra tribe, which was famous for chaste love poetry. This study aims to explore the personality of Hudbah ibn Khashram and his standing among the poets of the Umayyad era, and to demonstrate the influence of the tribal environment on his life and poetry. It also seeks to analyze the themes and artistic characteristics of his poetry, particularly those related to Udhri love poetry and chaste love. Furthermore, it aims to clarify the relationship between the poet and the tribal society, and the customs and traditions that influenced his emotional experience. This study also contributes to understanding an aspect of Umayyad literature and social life during that era. He became known for his sincere poems that expressed longing, loyalty, and the sorrow of separation. His style was simple, emotional, and honest, making him one of the notable poets of Udhri poetry, although only a small amount of his poetry survived and no independent diwan was compiled for him. His poetry and stories were mentioned in classical literary books such as الشعر والأغاني والشعراء. Poetry also reflects the conservative tribal society of his time and shows the sufferings under the restrictions of social traditions and customs.

Key Words: Hudbah ibn Khashram, Tribal Society and Customs, Traditions and Social Conflicts, Loyalty and Devotion.

.....
• مُحاضِر/باحث الدكتوراه، قِسْمُ الأَعْيُنِ العَرَبِيَّةِ، الجامعة الوطنية للغات الحديثة NUML

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على شخصية هدبة بن خشرم ومكانته بين شعراء العصر الأموي، وبيان أثر البيئة القبلية في حياته وشعره. كما تسعى إلى تحليل موضوعات شعره وخصائصه الفنية، خاصة ما يتعلق بالغزل العذري والحب العفيف. وتهدف أيضاً إلى توضيح العلاقة بين الشاعر والمجتمع القبلي وما فرضه من عادات وتقاليد أثرت في تجربته العاطفية. كذلك تساعد هذه الدراسة على فهم جانب من جوانب الأدب الأموي والحياة الاجتماعية في ذلك العصر. هدبة بن خشرم شاعر من شعراء العصر الأموي، وينتمي إلى قبيلة بني عذرة التي اشتهرت بالغزل العذري والحب العفيف. نشأ في بيئة قبلية محافظة أثرت في حياته وشعره، لذلك ظهر في شعره الصراع بين الحب الشخصي وقيود المجتمع. عُرف بشعره الصادق الذي عبّر فيه عن الشوق والوفاء والحزن الناتج عن الفراق، كما تأثر بالمجتمع القبلي وأعرافه الصارمة التي حالت بينه وبين محبوبته. اتسم شعره بالبساطة والصدق العاطفي، ولذلك عدّ من شعراء الغزل العذري المميزين، رغم أن شعره قليل ولم يُجمع في ديوان مستقل. وقد وردت أخباره وأشعاره في كتب الأدب القديمة مثل الأغاني والشعر والشعراء. وتأثر بالأعراف القبلية التي منعت ارتباطه بمحبوبته. تميز شعره بالبساطة والصدق العاطفي، لذلك عدّ من شعراء الغزل العذري في العصر الأموي. كما يعكس شعره صورة المجتمع القبلي المحافظ في ذلك العصر، ويُظهر معاناة العاشق أمام قيود التقاليد والعادات الاجتماعية. فكان الحب في شعره عفيفاً قائماً على الوفاء والإخلاص. تناول في قصائده موضوعات الشوق والحنين والفراق.

يمثل هدبة بن خشرم نموذجاً للشاعر العذري الذي عاش تجربة حب صادقة وانعكست معاناته في شعره. ورغم قلة ما وصل إلينا من أخباره، فإن حضوره في كتب الأدب يثبت مكانته ضمن هذا التيار الشعري الذي ترك أثراً واضحاً في التراث العربي. يعدّ هدبة بن خشرم أحد شعراء العصر الأموي الذين ارتبطت أسماؤهم بشعر الغزل العذري وهو ذلك اللون من الشعر الذي يقوم على العفة والصدق العاطفي، ويعبّر عن معاناة الحب والحرمان. وعلى الرغم من قلة الأخبار الواردة عنه مقارنةً بغيره من الشعراء، فإن ما وصل إلينا يكشف عن تجربة إنسانية صادقة ومؤثرة.

اسمه ونسبه

هو هدبة بن خشرم العذري¹، وينتمي إلى قبيلة بني عذرة، وهي قبيلة عربية اشتهرت بشعراء الحب العفيف، حتى صار الغزل العفيف يُنسب إليهم ويُعرف باسم الغزل العذري². وقد نشأ هدبة في بيئة بدوية محافظة، كان لها أثر واضح في تشكيل تجربته الشعرية وميله إلى هذا النوع من الغزل.

أسرته ونشأته

لا تسعفنا المصادر القديمة بتفاصيل دقيقة عن أسرته أو حياته المبكرة، وهو أمر شائع في تراجم كثير من الشعراء المقلّين. إلا أن الثابت أنه نشأ في مجتمع قبلي يقدر القيم الأخلاقية، ويؤمن بالعاطفة الصادقة، مما انعكس في شعره الذي خلا من المجون وابتعد عن الوصف الحسي. هناك أسباب علمية لذلك لعدم وفرة المعلومات عن أسرته هي: قلة شهرته مقارنة بغيره كونه من الشعراء المقلّين قليل الشعر والرواية واهتمام الرواة بقصته العاطفية أكثر من حياته العائلية وكذلك طبيعة كتب التراث التي تركز على الشعر لا على التراجم الدقيقة.

تأثر هدبة بالمجتمع الأموي

علاقة هدبة بن خشرم بمجتمع العصر الأموي ليست علاقة سياسية أو قيادية، بل هي علاقة أدبية اجتماعية تعكس جانباً مهماً من حياة ذلك المجتمع، خاصة في بيئته البدوية.

موقعه في مجتمع العصر الأموي:

عاش هدبة في زمن دولة العصر الأموي وكان المجتمع في هذا العصر ينقسم إلى قسمين³:

البيئة الحضرية مثل دمشق

والبيئة البدوية القبلية مثل الحجاز ونجد

أما هدبة ينتمي إلى البيئة البدوية القبلية، وليس إلى بلاط الخلفاء أو ميول إلى الحياة السياسية.

علاقته بالمجتمع القبلي:

ينتمي إلى قبيلة بني عذرة وهذا يحدد علاقته بالمجتمع من خلال:

الالتزام بالعادات والتقاليد القبلية، الخضوع لسلطة القبيلة في الزواج والعلاقات والعيش في مجتمع محافظ.

ولذلك لم يكن الحب فيه حراً، بل مقيداً بالأعراف، وهو ما أثر مباشرة في حياته.

انعكاس المجتمع على تجربته العاطفية:

قصته مع محبوبته ليلي تمثل نموذجاً واضحاً لصراع الفرد مع المجتمع، أحبها حباً عريضاً لم يتمكن من الزواج بها بسبب الأعراف وانتهت قصته بشكل مأساوي. هذا يعكس سمة أساسية في مجتمع

بني عذرة وهي تقديم العرف القبلي على العاطفة الفردية.

علاقته بالحياة الأدبية:

قال الأصفهاني 4 " إنه أشعر الناس منذ أن أودعه في السجن ". إن هدبة جزء من تيار شعري معروف وهو الغزل العذري وهذا التيار نشأ في البيئة البدوية ، عبر الشاعر عن مشاعر الحب الصادق ونجد عكس القيود الاجتماعية المفروضة على العشاق وبالتالي شعره ليس مجرد تجربة فردية، بل مرآة لمجتمعه. علاقة هدبة بن خشرم بمجتمع العصر الأموي هي علاقة تعبير وتمثيل لا سلطة وتأثير سياسي؛ فقد جسّد في شعره قيم القبيلة، قيود المجتمع ومعاناة الحب العفيف فكان شعره صورة صادقة للحياة الاجتماعية في البادية الأموية.

يمكن تلخيص علاقته بالمجتمع في ثلاث نقاط:

- 1: صوت العاطفة الفردية داخل مجتمع قبلي صارم
- 2: نموذج للعاشق العذري الذي يعاني بسبب الأعراف
- 3: انعكاس للبيئة البدوية مقابل الحياة الحضرية في العصر الأموي

خصائصه شعره الفنية:

تميّز شعر هدبة بن خشرم بعدة خصائص، من أبرزها:

- الصدق العاطفي والابتعاد عن التكلف
- التعبير عن الألم والحرمان والاشتياق
- البساطة في الألفاظ مع عمق في المعاني
- التركيز على معاناة العاشق ووفائه لحبيبته

موضوعاته الشعرية:

الغزل العذري الحب العفيف: وهو الموضوع الأساسي في شعره، حيث يعبر عن حب صادق عميق وعاطفة نقية خالية من الوصف الجسدي. يعلن حبه الدائم الذي لا يتغير رغم البعد. يركّز على الوفاء والثبات، لا على اللذة أو الجمال الحسي.

الشكوى من الفراق: الفراق عنصر أساسي في شعره بسبب عدم تحقق الزواج. يشكو السهر وطول الليل بسبب بعد محبوبته. الليل يرمزه إلى المعاناة ويعكس الألم النفسي والحرمان.

الصراع مع المجتمع القبلي: من أبرز موضوعاته، إذ يعبر عن رفض القبيلة لهذا الحب وعجزه

أمام

الأعراف ، يقرُّ بأن العشيرة تمنعه من الوصول إلى من يحب كما يوضح أن المجتمع أقوى من الفرد، وهو جوهر التجربة العذرية.

الحزن واللوعة: الحزن ملازم لشعره نتيجة الفراق وعدم تحقيق الحب، يتمنى لقاءها ولو في المنام، يعكس حالة نفسية قائمة على الألم المستمر.

الوفاء والإخلاص: يُظهر وفاءه لحبيبته رغم البعد والمنع الاجتماعي يؤكد أن حبه لا يتغير مع الزمن كما الوفاء سمة أساسية في شعراء بني عذرة.

مكانته الشعرية:

يُعدُّ هدبة بن خشرم من شعراء العصر الأموي، قال الأصفهاني⁵: "وهدبة شاعر فصيح من بادية الحجاز". وقال ابن رشيق⁶ إن "شعره جأشه وقوة عزيمته" لكن مكانته الأدبية تُصنّف ضمن الشعراء المقلّين القليلين في الإنتاج والرواية، أي أنه ليس من كبار الشعراء المشهورين بكثرة الشعر، بل من الشعراء الذين وصلت أخبارهم وأشعارهم بشكل محدود. لم يكن من شعراء البلاط أو السياسة، لم ينافس شعراء كبار مثل جرير والفرزدق، ظهوره كان في البيئة القبلية البدوية. يعدُّ شاعر قبلي عذري أكثر من كونه شاعراً مشهوراً على مستوى الدولة. شعره صادق رغم قلته. ولم تُجمع أشعاره بشكل كامل بل وردت شذرات وأخبار متفرقة ولكن شعره مهم من حيث القيمة الاجتماعية في صنو الغزل العذري.⁷

معاصروه من شعراء الغزل العذري: هؤلاء الشعراء هم الأقرب له من حيث الموضوع والبيئة البدوية:

جميل بن معمر:

وهو من أبرز شعراء بني عذرة⁸. عاش تجربة حب عفيف جداً لتجربة هدبة شعره يدور حول الشكوى والوفاء.

قيس بن الملوح:

أشهر شعراء الحب العذري. عاش في بيئة نجد والحجاز ومثّل نفس فكرة الحب المستحيل بسبب المجتمع.

كثير عزة:

شاعر أموي في الغزل العذري. عبّر عن الحب والحرمان بأسلوب قريب من بيئة هدبة.

عروة بن حزام:

من شعراء الحب العفيف يمثل النموذج البدوي للعاشق الممنوع من الزواج.
معاصروه من شعراء الغزل الحضري :
هؤلاء عاشوا في نفس الزمن لكن في بيئة مختلفة:

عمر بن أبي ربيعة:

شاعر غزل حضري في مكة يختلف عن هدبة لأنه يميل إلى الغزل الوصفي الحضري ويمثل الاتجاه المقابل للغزل العذري.

أوجه التشابه بين هدبة بن خشرم وجميل بن معمر

كلاهما من شعراء الغزل العذري
كلاهما عاش تجربة حب عفيف غير مكتمل
المعاناة سببها رفض المجتمع القبلي
الشعر عندهما يعبر عن الوفاء والحزن والحرمان

أوجه الاختلاف

هدبة بن خشرم:
شعره قليل ومتناثر
أخباره محدودة جداً
حضوره في المصادر ضعيف نسبياً
يمثل "نموذجاً غير مكتمل التوثيق" للعذرية
جميل بن معمر:
شعره أكثر شهرة وانتشاراً
قصته أوضح في الروايات
يُعد من أبرز رموز الغزل العذري
له حضور قوي في كتب الأدب

أوجه التشابه بين هدبة بن خشرم وقيس بن الملوح

حب عفيف قائم على العاطفة الصادقة

الصراع مع المجتمع والأهل

النهاية المأساوية أو الحزن الدائم

التركيز على الشوق والفراق

أوجه الاختلاف بين هدبة بن خشرم وقيس بن الملوح

هدبة بن خشرم

شخصية أقل شهرة

شعره غير محفوظ بالكامل

لا توجد رواية متكاملة لقصته

قيس بن الملوح

أشهر شعراء الحب في التراث العربي

قصته مع ليلى أصبحت رمزاً أدبياً

شعره أكثر انتشاراً وتداولاً

شخصيته تحولت إلى "أسطورة أدبية"

هدبة بن خشرم يمثل الوجه الأقل شهرة للعذرية، حميل وقيس يمثلان الوجه الأبرز والأكثر توثيقاً

والجميع يشتركون في الحب العفيف و الصراع مع المجتمع القبلي.

نموذج من أشعاره:

فإن الدهر معتنفٌ جديدٌ 9

وشرُّ الخيلٍ أقصرُّها عِنانا

إن الدهر معتنفٌ جديدٌ ، المعنى: الزمان متغير ومتحدّد، لا يبقى على حال واحدة.

الفكرة: الإنسان يجب أن يتأقلم مع تغيّر الظروف. فيه حكمة عن تقلب الأيام وصعوبة الثبات على

حال واحدة.

وشرُّ الخيلٍ أقصرُّها عِنانا، المعنى: أسوأ الخيل هي التي يُشدّ لجامها بقوة شديدة.

الفكرة: السيطرة المفرطة قد تضعف القوة بدل أن تقويها. يرمز إلى أن الإفراط في القيد أو

التحكم يؤدي إلى نتائج سلبية. البيت يحمل طابعاً حكماً وتأملياً، يتحدّث عن تغيّر الزمان

وضرورة المرونة في الحياة وذمّ التشدد المفرط في التحكم.

وشرُّ الناس كلُّ فتى إذا ما 10

مرثه الحرب بعد العصب لا نا

هي أقرب إلى بيت شعري حكيم في الذمّ والمقصود هو بأن أسوأ الناس هو الرجل الذي يتصف بصفة معينة سيئة.

مرثه الحرب بعد العصب لا نا ، المعنى: إذا اشتدت الحرب عليه، لا يثبت ولا يعود بعدها إلى الشجاعة أو القوة. "العصب" هنا تشير إلى الشدة والشدائد. "لا نا" أي لا ينهض بعدها ولا يظهر قوة أو رجولة. الفكرة العامة هي البيت يذمّ الجبن في وقت الشدائد وعدم الثبات عند المحن وضعف الشخصية وقت الحرب.

إني إذا استخفى الجبان بالخدر**وكان بالكفّ شهاب كالشر**

"إني إذا استخفى الجبان بالخدر"، المعنى: عندما يختبئ الجبان في بيته خوفاً، "الخدر" داخل البيت أو مكان الستر

وكان بالكفّ شهاب كالشرر"

المعنى: أنا في المقابل شجاع، في يدي نار كالشهاب رمز القوة والبطش يدل على الإقدام في القتال وعدم الخوف.

الفكرة العامة هي أن البيت يعبر عن المفاضلة بين الشجاعة والجبن ومدح الشجاعة والإقدام في الحرب وذمّ الجبن والاختباء وقت الشدائد.

صدق القناة غير شعشاع العذر**حمال ما حملت من خيرٍ وشرٍ**

"صدق القناة غير شعشاع العذر"، القناة: الرمح، "صدق القناة" أي استقامة الرمح وثباته والمعنى هنا أن الرجل الشجاع يكون ثابتاً مستقيماً لا يتزعزع "غير شعشاع العذر" أي ليس ضعيفاً متردداً أو متخاذلاً. الفكرة هي مدح الثبات والقوة وعدم التردد.

"حمال ما حملت من خيرٍ وشرٍ"، المعنى: يتحمل كل ما يأتيه من خير أو شر دون ضعف ويدل على الصبر وقوة التحمل كما يشبه الرجل الصلب الذي لا ينكسر أمام الظروف و الفكرة العامة هي أن البيت يدوران حول الشجاعة والثبات والقوة الشخصية و الصبر على الشدائد وعدم التخاذل في المواقف الصعبة.

تعجبوا حبي من أسيرٍ مكبّل

صليبُ العصا باقٍ على رصفان

"تعجبوا حيي من أسير مكبل" ، المعنى: يتعجب الشاعر من حاله هو كأنه أسير مقيد، و"مكبل" بمعنى مربوط لا يستطيع الحركة وهذا يدل على الألم والقيود النفسية أو الاجتماعية. "صليب العصا باقٍ على رصفان"، المعنى، ثابت مثل العصا المستقيمة رغم الشدائد و"صليب العصا" أنه مستقيم شديد الصلابة أما "رصفان" هو موضع أو حال الاستقامة والثبات في بعض الروايات تُستخدم للدلالة على الثبات الفكرة العامة هي أن البيت يعبر عن الأسر النفسي أو العاطفي والتناقض بين الألم الداخلي والثبات الخارجي وهي صورة رمزية للشدة والصبر.

نتيجة البحث: توصل هذا البحث إلى أن هدبة بن خشرم يُعدّ من شعراء الغزل العذري في العصر الأموي، وأن شعره ارتبط بالبيئة القبلية المحافظة التي أثرت في حياته وتجربته العاطفية. كما أظهر البحث أن موضوعات شعره تركزت على الحب العفيف والوفاء والشوق والحزن الناتج عن الفراق. وتبيّن أيضاً أن الأعراف والتقاليد القبلية كانت سبباً رئيسياً في معاناته العاطفية، مما انعكس بوضوح في شعره. كذلك أثبت البحث أن شعره يتميز بالبساطة والصدق العاطفي رغم قلة ما وصل إلينا من أشعاره. وأخيراً، أظهرت الدراسة أن هدبة بن خشرم يمثل نموذجاً مهماً لفهم طبيعة الغزل العذري والمجتمع البدوي في العصر الأموي.

كما أظهرت الدراسة أن شعره لم يكن مجرد تعبير عن الحب، بل كان تصويراً لمعاناة الإنسان أمام سلطة المجتمع القبلي. ومن النتائج أيضاً أن شعر هدبة يساعد على فهم طبيعة العلاقات الاجتماعية وقيم الشرف والوفاء السائدة في العصر الأموي، إضافة إلى أنه يُبرز أثر القبيلة في توجيه حياة الفرد ومصيره العاطفي. وتوصلت الدراسة إلى أن البيئة البدوية لعبت دوراً كبيراً في تشكيل شخصيته وأسلوبه الشعري، إذ اتسم شعره بالبساطة ووضوح المعاني والابتعاد عن التكلف. كذلك أثبت البحث أن قلة شعره وعدم جمعه في ديوان مستقل لا تقلل من قيمته الأدبية، لأن ما وصل إلينا يكشف عن صدق التجربة وقوة العاطفة.

المصادر والمراجع

- 1: معجم الشعراء، ص420
- 2: الشعر والشعراء، ج2، ص291،

- 3: الفهرست لابن النديم ،ص،78 ، معجم الأدباء،ج،3،ص،64
- 4: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج،21، ص 296
- 5: الشعر والشعراء لابن قتيبة ص 386-384
- 6: العمدة لابن رشيق،ج،1، ص193
- 7: طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ج،2، ص 500
- 8: تاريخ الأدب العربي لرحي زيّدان ج،2، ص 96-98 ، الأغاني،ج،21،ص،277
- 9: شعر هدية بن خشرم العذري للدكتور يحيى الجبوري ،ص،12-13 ، الطبعة الأولى بدمشق 1976 ، والطبعة الثانية بكويت 1976م
- 10: المرجع نفسه، ص، 13